*ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) ونظرية البديع :

ابن المعتز هو عبد الله بن محمد بن المعتز بالله بن المتوكل، شاعر وأديب عربي من العصر العباسي، وُلد في بغداد عام (247 هـ)وهو ينتمي إلى البيت العباسي الحاكم، اذ كان والده الخليفة المعتز بالله.

يُعد ابن المعتز أحد أبرز شعراء العصر العباسي، واشتهر بشعره في الوصف ولاسيما وصف الطبيعة والتشبيهات المبتكرة والغزل ، والتأنق في لغته الشعرية ، التي اتت نتيجة طبيعية لحياته المترفة وأن شعره كان مرآة حقيقية لبيئة القصور المرفهة والمتميزة بالتفنن الحضاري من بناء وورود ، وعطور ، وزخارف ، وغيرها من مظاهر العيش المترفة التي امتلأ بوصفها شعر ابن المعتز كما وصفه الشاعر ابن الرومي .

لهذا قال عنه ابن رشيق القيرواني: (قد انتهى إليه التشبيه وسر صناعة الشعر).

ويُعد(ابن المعتز) من أوائل النقاد الذين كتبوا عن فن البديع، فقد ألّف كتابه الشهير "البديع" الذي تناول فيه المحسنات البديعية في الشعر العربي، وأصبح مرجعًا مهما في هذا المجال.

وقد عني بفنون البلاغة من تشبيه واستعارة وجناس وطباق لما شاع عن شعراء العصر العباسي من كثرة استخدامهم لهذه الفنون في اشعارهم أمثال : مسلم بن الوليد وبشار بن برد، وأبي نواس ، وابي تمام ، الذي اوغل في استخدام هذه الفنون في شعره ؛ مما جعل النقاد يكثرون من الاهتمام بشعر ابي تمام الذي امتد صداه الى عصر ابن المعتز والعصور التالية له ، ما بين معجب بشعره مثل ابي بكر الصولي، ورافض لاساليبه البلاغية مثل الآمدي ، الذي لم يُعجَب بشعر ابي تمام لعدم تناسبه مع ذوقه النقدي المعجب بالاساليب العربية القديمة .

وعلى الرغم من انشغاله بالشعر والأدب، كان لابن المعتز طموح سياسي، لكنه عاش حياة مليئة بالمآسي، إذ خسر والده الخليفة في صراعات سياسية، وقُتل ابن المعتز نفسه بعد أن نُصِّب خليفة ليوم واحد فقط عام 296 هـ ، في انقلاب سياسي لم يدم طويلاً.

*نشأة البديع

لقد عرَّف ابن المعتز البديع بأنه : (اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم . فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو . وما جمع فنون البديع ولا سبقني اليه احد)، وقد احسن ابن المعتز في اشارته هذه ، لان الشعراء ومن يهتم بالشعر من النقاد هم الذين يعرفون

البديع لانه شاع في اساليب الشعراء المحدثين في العصر العباسي واثار ميلهم الى الاكثار منه اهتمام النقاد الا انهم لم يفردوه بكتاب ، ولا عنوا بوضع اسماء ومسميات لانواعه واقسامه.

وذكر ابن رشيق القيرواني في كتابه(العمدة) ان مسلم بن الوليد المتوفى سنة (٢٠٨ هـ)كان يطلق اسم (البديع) أو (اللطيف) على ما سمي في ما بعد بالبديع ، مكثراً من ايراده في اشعاره جامعا بين الصنعة والتفنن حتى سماه ابن رشيق ب(زُهير المولدين)؛ لانه كان يبطيء في اخراج صنعته ويجيدها .

والجاحظ ايضاً ذكر البديع واشار الى اساليبه وفنونه استطراداً في كتابيه البيان والتبيين والحيوان . فقد اورد بيت الاشهب بن رميلة:

هم ساعد الدهر الذي يُتقى به

وما خير كف لا تنوءُ بساعد

ووقف عند تعبير (هم ساعد الدهر) قائلا : انما هو(مثل) ، وهو الذي تسميه الرواة البديع . ومن هنا قرر الجاحظ حُكْما عاما على الشعر العربي فرأى (ان البديع مقصور على العرب ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كلِّ لسان) (البيان والتبيين الجزء الثالث).

وحين تحدث الجاحظ عن الخطباء والشعراء التفت الى تفنن بعضهم في ايراد البديع قائلا:

(ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد . والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابي ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى الفاظه وحذوه ، ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من الشعراء المولدين كنحو منصور النمري ، ومسلم بن الوليد الانصاري واشباههما . وكان العتابي يحذو حذو بشار في البديع ولم يكن في المولدين اصوب بديعا من بشار وابن هرمة)

اي ان الجاحظ يرى ان الشعراء المولدين هم اصحاب البديع والصنعة من غير ان يعرِّف البديع او يذكر فنونه ، وذكر شواهد كثيرة ضمن البديع من غير ان يبين لنا موطن الشاهد او الفن المقصود .

ولكن الجاحظ يرجع البديع في موضع آخر من كتابه الى الراعي النميري حين يقول (ان الراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب شعره في البديع) . اما قضايا البديع فقد عرض الجاحظ كثيرا منها في بعض المواطن التي علق فيها على شاهد شعري او آية كريمة او قول مأثور فكثرت تعليقاته على (التشبيه) مبينا وجه الشبه وموضحا الردىء والمستحسن منه : واورد في الجزء الثالث من كتابه (الحيوان) قطعا من البديع كلها - كما يبدو من الشواهد القديمة.

ولم يبين الجاحظ موطن البديع او نوعه الا انه اورد الشواهد في مكان واحد كأنه يريد القول ان البديع موجود في الشعر القديم بعد ان اورد قطعة اخرى فيها تشبيه وبين اوجه الشبه وشواهده فيها ايضا من الشعر الجاهلي .
من هنا يتبين لنا ان البديع عند ابن المعتز ومن سبقه هو العلم الذي يحتوي كل الفنون البلاغية ، وفنون الصنعة من جناس ، وطباق وتشبيه واستعارة وغيرها ، الا ان مفهومها وتعريفها واقسامها لم تتضح الا عند ابن المعتز حين احصاها في كتابه البديع.